20/01/2015

الغضب ضد الإرهاب مطلوب.. ولكن الأهم ضد مُشغِّليه؟

صباح عزام

لا يوجد أدنى شك في أن التفجيرات التي حدثت في فرنسا مؤخراً هي أعمال إرهابية مُدانة وخطيرة وسيئة، وأن مختلف أنواع الإرهاب الفردي أو حتى إرهاب المجموعات، هو عمل خطير، وبالتالي لا يجب التقليل من شأنه ومن شأن أسبابه ولكن ما يسترعي الانتباه، هو تلك التظاهرة الغاضبة التي جرت في باريس تضامناً مع «هولاند» الذي بدا حزيناً ومُكتئباً والتي شارك فيها العديد من رؤساء الدول والحكومات والمسؤولين على مستويات مختلفة وكان من بينهم رئيس وزراء الكيان الصهيوني «نتنياهو»!

أسمح لنفسي بالقول إن هذه التظاهرة التي تبارت وسائط الإعلام في نقلها هي أقرب ما تكون إلى عملية نفاقٍ مُنسّقةٍ ومنظمةٍ ومُخرجةٍ بامتياز، حيث تم توظيف دماء ضحايا «شارلي ايبدو»، لكي يصعد عليها قادة الإرهاب ولكي يبيضوا وجوههم أمام العالم.

كيف يمكن لإرهابي مثل نتنياهو الذي أباد هو وجيشه آلاف الفلسطينيين في غزة وغيرها أن يتصدر تظاهرة للتضامن مع الشعب الفرنسي، والذي يساعد ذات القتلة على الحدود السورية الإسرائيلية ويعالجهم في مشافي إسرائيل؟ كيف يمكن «لهولاند» أن ينظم مثل هذه التظاهرة وهو الذي قام ولا يزال بدعم وإسناد المنظمات الإرهابية التي تستهدف سورية شعباً وجيشاً ومؤسسات؟

إن أمثال «نتنياهو وهولاند وكاميرون وأوباما وأردوغان وبعض حكام الخليج العربي» هم من مهّدوا وساعدوا وسلحوا ودربوا الإرهابيين الذين ضربوا في النهاية في قلب باريس وهم الذين ضربوا ولا زالوا يضربون وبلا رحمة أيضاً وبشكل أشد وأعنف في قلب سورية والعراق وليبيا ومصر وفلسطين ولبنان وغيرها.

أليست دول هؤلاء الحكام وأجهزة استخباراتهم هي التي ربَّت هذا الوحش وأطلقته ضد شعوب الوطن العربي..؟ فلماذا يتباكون الآن في باريس؟!

إن هؤلاء الحكام أو الزعماء ينطبق عليهم تماماً المثل الشعبي القائل «يقتلُ القتيل ويمشي في جنازته»، هؤلاء هم مُشغلو الإرهاب ورُعاته وداعموه، بل مُشغِّلوه الأصليون.

كيف تقبل باريس ويقبل الشعب الفرنسي الذي ينتفض ضد الإرهاب- كما يقولون- أن يسيروا وراء «نتنياهو» وأمثاله ممن تصدروا التظاهرة، ويصمتون عن رئيسهم ورئيس حكومتهم اللذين ساندا الإرهاب في سورية والعراق، وبررا جرائم إسرائيل تحت الشعار المُخزي «حق الدفاع عن النفس»؟!

لا شك أن انحرافاً في الوعي قد جرى، أو بالأحرى تمت السيطرة على هذا الوعي من قبل رُعاة القتل والإرهاب، أو أنه في سياق حالة الهلع والتخدير العام، لم يتمكن الشعب الفرنسي من توجيه الغضب نحو هدفه الصحيح. وهكذا يمكن القول إن تظاهرة باريس ضد الإرهاب وتزاحم رُعاة وقادة الإرهاب الدولي المنظم وهم يشبكون أيديهم كانت من أشد وأبشع أنواع التزييف والتضليل والنفاق، ذلك أن خطورة الإرهاب لا تتجسد في قواه الذاتية المنفذة فقط، بل في القوى التي ترعاه وتوظفه وتستخدمه وفقاً لأغراضها ومصالحها الخاصة، وتحدّد له دوائر فعله وتحرّكه، هذه القوى التي تصف نفسها بقوى أو دول «العالم الحر» أو تسوق نفسها بدول «العالم الحر»، وبالتالي تتصرف وكأنها فوق النقد وفوق الحساب.. ليس هذا فحسب، بل أيضاً تطرح نفسها باعتبارها تملك الحق والسلطة الأخلاقية والقانونية والمعنوية لتعاقب غيرها انطلاقاً من معاييرها ومقاييسها.. بينما هي في حقيقة الأمر دول نهضت وقامت وتطورت مستندة في ذلك إلى قرون من التاريخ الاستعماري العنصري المخيف، حيث أبادت ملايين البشر، واستعبدت الملايين الأخرى ونهبت ثروات الأمم والشعوب بكاملها.

لهذا، فإن الإرهاب المخيف لهذه الدول يتحرك كمنظومات قهر شاملة ضد الشعوب تحت رايات وشعارات مخادعة، فتمارس الإرهاب باسم «الحضارة» وباسم مسؤولية الرجل الأبيض الذي اختارته الأقدار والسماء ليأخذ بيد البشرية ويحميها من ذاتها.

إنها تستولد العنصرية بشكل مباشر أو غير مباشر في سياق إستراتيجية مركبة ومتكاملة تضم تحالفاً عضوياً بين امبراطوريات الإعلام التي تمهد لأي غزو أو إرهاب بحملات منسقة إعلامياً، وذلك لكي تهيئ وتعد لاحتلال الوعي العام والداخلي، ليصبح ما تقوم به من إرهاب وكأنه مطلب شعبي وإنساني.. ولتحقيق هذا الهدف تخاطب المنظومة الإعلامية لتلك الدول، الوعي الغريزي للشعوب الغربية المأخوذة بذاتها، ودورها والمسكونة برعب الحروب، حيث يتم تظهير وتقديم أي تدخل أو حرب ضد الشعوب الأخرى وكأنه تصد لخطر داهم يحيق بمنجزات الدول والشعوب الغربية وقيمها، هكذا تساق شعوب الدول المتطورة نحو الحروب والدمار في سياق عمليات التشويه والتزوير والكذب.. هذا هو الإرهاب، الأعتى والأقذر والأبشع.

وبالمناسبة، أي باحتضان فرنسا «هولاند» لهذه التظاهرة ضد الإرهاب نذكر القارئ الكريم بأن 14 دولة افريقية مجبرة حتى الآن من قبل فرنسا على دفع ضرائب استعمارية لها كفوائد على العبودية والاستعمار منذ استقلالها حتى اليوم.!

هذا، وهناك ناحية مهمة أخرى لابد من الإشارة إليها وهي أن الحكومة الفرنسية التي تباهت عبر وسائل الإعلام الفرنسي وغيره بأن محققيها عثروا على هوية المهاجمين بعد ساعة واحدة من المجزرة وبزمن قياسي دون أن تنجح كل أجهزة استخباراتها باستباق العمل، تؤكد من خلال هذه التظاهرة المصطنعة إنها غير معنية بمكافحة الإرهاب، بل بتكريسه داخلياً وعالمياً في محاولة منها لإلهاء الشعب الفرنسي عن دورها الاستعماري المتجدد، ولإطالة عمر النظام الاقتصادي الاجتماعي السياسي المأزوم فيها.